

خطاب جلالة الملك في افتتاح الدورة الأولى من السنة التشريعية الخامسة

الرباط — ترأس صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بمقر مجلس النواب افتتاح الدورة الأولى للسنة التشريعية الخامسة وألقى جلالته الخطاب التالي :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

حضرات السادة

ألفنا كلما افتتحنا دورتكم أن نتطرق الى موضوعات الساعة ومشاكل الحال معتقدين أن عرضنا أمامكم واهتمامنا ومشاغلنا هي نوع من أنواع الحوار، ذلك الحوار الذي جعلناه قاعدة لنا وسننا لعملنا.

ففي الدورة الأخيرة كنا بكيفية استثنائية قد تطرقنا أمامكم الى مشاكل خاصة داخلية بكيفية معينة، ومنذ ذلك الحين طرأ في الأجواء الخارجية ما طرأ من أحداث، علينا أن نستخرج منها العبر ونقوم المفاهيم حتى نتمكن من مسايرة العصر سواء على الصعيد الجهوي أو العالمي.

إننا حضرات السادة نعيش بشعور أو بغير شعور فترة هامة وحاسمة من تاريخ البشرية، ذلك أن النصف من العالم النامي ومنه السائر نحو النمو بدأ يأخذ منعطفا مهما وخطيرا جدا في أواخر هذا القرن، وأعني بهذا ما يقوم به اتحاد الجمهوريات السوفياتية بقيادة الرئيس غورباتشوف.

إن العالم سيصبح يعيش في نظام آخر ليس نظام تصادم أو اصطدام الحضارات وطرف المعيشة، بل في سباق لاسعاد بني البشر وللوصول الى النمو والتقدم والحضارة في جو — وإن اختلفت فيه المذاهب والايديولوجيات — حرم على نفسه استعمال الحرب واستعمال الدمار، مختارا قبل كل شيء احتكاك تجربة بتجربة ومقارنة إيديولوجية ومذهب ومنهج بإديولوجية ومذهب ومنهج آخر.

حضرات السادة

نحن نعيش في قارة اختلفت أنظمتها، ونعيش في أسرة عربية اختلفت كذلك أنظمتها ونعيش داخل أسرة أكبر هي الأسرة الاسلامية التي تباينت كذلك أنظمتها واختياراتها، كما ننتمي الى أسرة الدول غير المنحازة التي اختارت هي كالآخرين مذهبا من المذاهب واتجاها من الاتجاهات، فيجب علينا أن نكون واعين بالظرف الذي نعيشه، وعلينا أن نراقب باهتمام يومي مستمر التجارب والاجتهادات والجهود حتى نأخذ من هذا كله أحسن ما فيه، وحتى نتمكن كذلك من أن نأخذ اختياراتنا استقبالا لا على أسس نظرية فقط بل كذلك على تجارب — ونحن على أبواب القرن المقبل — ستمكننا من أن نجني أحسن الثمار من أحسن المذاهب لا سيما وأن هذا السباق أصبح سباقا مثمرا إيجابيا ومنافسة بروح رياضية أول ما خلقت جوا عالميا للبحث عن السلام والتصالح، وهكذا نرى في جميع أقطار المعمور من أقصى غربها الى أقصى شرقها جميع الذين كانوا متخاصمين أو كانوا متعادين كلهم يسارعون بما لهم من حسن إرادة وبما لهم من شجاعة الى تحقيق السلم، ومن وراء السلم العمل المشترك لجميع أفراد هذا المجتمع البشري صغيره وكبيره قويه وضعيفه.

ومن حسن الحظ أن هذا الجو العالمي جو التصالح والتساكن، مكننا نحن كذلك من أن نقوم بتجربة حيوية وهي تجربة التضامن والتآخي والتعامل يدا في يد لبناء المغرب العربي من موريتانيا الى ليبيا مرورا بالمغرب والجزائر وتونس.

وكما تعلمون حضرات السادة توصلت بدعوة لزيارة الجزائر بمناسبة إنعقاد القمة العربية، واعتبرنا أن تلك المناسبة كانت هي المناسبة لتطبيع العلاقات مع جارتنا، ومناسبة كذلك للمشاركة والاسهام مع إخواننا قادة العرب في تدارس قضايا الساعة، وأخيرا كانت لنا كذلك فرصة ثمينة للقاء قادة المغرب العربي الذين ما سبق لهم أن اجتمعوا جميعهم، وقد انتهزنا هذا السفر لتطبيع علاقاتنا مع الجارة، ولكن ليس ذلك التطبيع الذي يمكن أن يقال فيه انه مشوب بنفاق أو بشيء من الرياء، لا فيما يخص المغرب، وأظن وهذا ما لمسته في صديقي وأخي فخامة الرئيس الشاذلي ابن جديد أنه ليس من شيمنا أن نتعامل بالنفاق والرياء، ولا أدل على ذلك أنه حين وجودنا في الجزائر تمكنا بكيفية ثنائية وبكيفية خماسية من وضع لبنات لعمل ثنائي أو جماعي، منه ما تجلت نتائجه في بلاغات ولقاء واجتماع اللجن، ومنه ما ينتظر أن توضع اللمسات الأخيرة على مشاريعه للظهور الى الوجود.

ومنذ ذلك الحين — ولله الحمد — ولجن المغرب العربي توالى اجتماعاتها سواء في طرابلس أو تونس أو الجزائر أو الرباط أو نواكشوط، ومن هذه اللجن من قام بدراسة القضايا البشرية وقضايا الاستيطان وحقوق مواطن المغرب العربي الكبير، ومنها من قام بدراسة هيكلة تعاملنا وتعاضدنا في المستقبل وتحقيق اندماج أكثر ما يمكن من دواليب منافعنا المختلفة والمتبادلة، ومنها من اجتمع للنظر في الأمور المالية والجمركية وانتقال الممتلكات والحقوق بين دول المغرب العربي ومنها من اجتمع للنظر كذلك في الأمور الاقتصادية بكيفية عامة، وأخيرا منها من اجتمع في نواكشوط للتخطيط بكيفية جماعية للتعليم والثقافة وتكوين المواطن العربي أحسن ما يمكن ليكون مواطنا نافعا وناجعا.

وكل هذا كما قلت لكم أسفر عن قرارات وعن إلتزامات، وأصبح لبنات ولبنات لا تنتظر إلا إنعقاد قمة قادة بلدان المغرب العربي الكبير التي نرجو أن تجتمع كما هو منتظر إما قبل السنة الجارية أو في أوائل السنة المقبلة.

وبعد عيد المولد النبوي الشريف ستجتمع هذه اللجن كلها على أن ترى تلك اللجن ما نفذ وما لم ينفذ، وحتى تقوم بنقد ذاتي يعرض على العواصم لتتخذ في شأنه القرارات حينما تجتمع قمة دول المغرب العربي.

ومن هذا المنطلق حضرات السادة أريد فقط أن أنبهكم ولو أنكم لستم في حاجة لهذا التنبيه لأنكم أذكياء، ولكن من الواجب التذكير، لأن الذكرى تنفع المؤمنين، فلست في حاجة لأن أقول لكم كما قلت لأعضاء الحكومة وللجهاز التنفيذي : انه يجب عليكم منذ اليوم حينما تفكرون وتخططون أن تفكروا لا للمغرب فقط بل أن تفكروا كذلك لأسرة أصبح أعضاؤها خمسة.

فالمنتظر من كل خطيب منكم سيقف بهذه المنصة ليناقش أو يعرض أو يعرب عن رأيه أن يكون تفكيره غير منحصر في الحدود المغربية بل شموليا افريقيا الشمالية وموريتانيا.

حينما نستعمل لفظ افريقيا الشمالية تبحث أعيننا بالطبع عن خريطة، فما هي افريقيا الشمالية؟ وما وزنها بالنسبة للبحر المتوسط؟ إن افريقيا الشمالية تغطي كما تعلمون النصف الأكبر من الضفة الجنوبية للبحر المتوسط، وهكذا تصبح افريقيا الشمالية أو المغرب العربي الكبير بامتداده على المحيط بموريتانيا الممر الطبيعي للحوار الذي

سماه البعض حوار الشمال والجنوب، وسمي من قبل الحوار الأوربي الافريقي، وأنا شخصيا أفضل هذا التعبير الثاني، وهكذا نسمي هذه المجموعة مجموعة المغرب العربي لتجانسها ووحدة لغتها ووحدة دينها، ونسميها افريقيا الشمالية لنعطيها أهميتها من الناحية الجيوستراتيجية والجيوسياسية، ولي اليقين أنكم تزنون بالميزان المستقيم والحقيقي ما علينا منذ الآن من واجبات ومن إلتزامات بالنسبة لقارتنا ولأسرتنا العربية التي سنكون لها دعما وحافزا ولحضارة البحر المتوسط الذي منه إنبثقت لا أقول جميع الحضارات، لأن هناك الشرق الأوسط والشرق الأقصى، بل حضارات مهمة انبثقت من بحرنا المتوسط الذي تكون افريقيا الشمالية أكثر من نصف ضفته الجنوبية.

وحينما نفكر أننا في المغرب طلبنا قبل ثلاث سنوات من المجموعة الأوربية عضويتنا الكاملة لم تقل لنا المجموعة الأوربية : ان طلبنا مرفوض، ولم تقل لنا كذلك انه مقبول، ولكن أخذت على نفسها أن تنظر الى « ملفنا »، ومن هنا أصبح لدى المجموعة الأوربية نظارتان، النظارة القانونية وبالطبع نحن لسنا من أوربا، والنظارة السياسية التي تغلب هنا على النظارة القانونية، وحينما يصبح المغرب الذي طلب انضمامه كعضو كامل العضوية في المجموعة الأوربية عضوا حيا ونشيطا في مجموعة المغرب العربي الكبير وافريقيا الشمالية سيصبح لطلبه آنذاك وزن آخر، وأظن سيتغلب المنظور السياسي على المنظور القانوني الى أن يقع إن شاء الله اندماج أو شبه اندماج لا بين المغرب فقط بل بين المغرب العربي الكبير أو افريقيا الشمالية وبين أوربا ولكن حينما نقول أوربا لا نعني فقط المجموعة الغربية، إذ علينا أن لا ننسى أن جميع بلدان المغرب العربي الكبير منتمية الى دول عدم الانحياز، وعلينا ألا ننسى أن في الدول الاشتراكية أصدقاء لنا، وحتى الدول الاشتراكية الآن في الكوميكون تحاول أن تتقرب من السوق الأوربية المشتركة والعكس صحيح.

وهكذا إذا عرفنا حقيقة كيف نسير سفينتنا وأن نبقى على الصراط المستقيم، — لا إفراط ولا تفريط — وأن نجمع بين ما لنا من شباب وحيوية وما لنا من أصالة وقدم، وعرفنا كيف نتصرف، وأنا لا أحلم وإن كان من واجب بعض القادة السياسيين أن يحلموا شيئا ما، يمكن أن أقول واجزم ان أمام أبنائنا مستقبلا لا يساوي ازدهاره وعمقه ومداه إلا ثقل المسؤوليات وثقل الوفاء بالالتزامات.

حضرات السادة

قبل أن أختم كلمتي هذه التي أظن أنني قد أطلت فيها شيئا ما، ولكن الموضوع يحتاج الى أن يكون شيئا ما طويلا، أريد أن أقول من هذه المنصة والحالة أن الأمة كلها مجموعة هنا ممثلة في منتخبيها وعبد الله خادم أمته ملك المغرب هنا أمامكم، أريد أن أقول من هذه المنصة : ان ما وقع من أحداث في جارتنا الجزائر قد آلمنا كثيرا، ويجب علينا أن لا ننظر إليها بعين التشفي، بل بعين المواساة والتآخي، كما يجب علينا أن لا ننصب أنفسنا محللين لأسبابها ومسبباتها، فما وقع في الجزائر شيء داخلي لا يعرف كنهه وأسبابه ودوافعه إلا أهل الجزائر، فما علينا نحن إلا أن نطبق على مستوى القانون الدولي ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه ».

حضرات السادة

ستنكبون عما قريب على مشاريع، ومن جملتها مشاريع مهمة جدا ربما ستستغرق السنة كلها أي هذه الدورة والدورة المقبلة، فأرجو لكم التوفيق والسداد، وأرجو لكم الهداية وضبط الأعصاب، إن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه العظيم : « ادعوني أستجب لكم » وقال : « لئن شكرتم لأزيدنكم ».



اللهم إننا نحمدك على نعمتك وأفضالك ونرجو منك أن ترزقنا جميعا الخير والسداد والنجاح والتوفيق والوئام، إنك يا رب سميع مجيب، وإنك يا رب على كل شيء قدير وبالاجابة جدير.

والسلام عليكم ورحمة الله.

وفي ختام هذه الكلمة توجه جلالته بالتحية الى الوفود المشاركة في مؤتمر الحوار العربي الأوربي قائلا :

من هذا المجلس الموقر أود أن أحيي جميع وفود البرلمانات المشاركة في مؤتمر الحوار العربي الأوربي الذين يزورون بلدنا، فأرجو لهم مقاما سعيدا، كما أقول لهم اننا نعتمد عليهم كلهم ليكونوا رسلنا، ورسالتنا هي السلام والاخاء والوئام.

الجمعة 2 ربيع الأول 1409 — 14 أكتوبر 1988